نظرية لومبروزو

اولاً : مضمون النظرية

هو طبيب الامراض العقلية واستاذ الطب الشرعي والعصبي في الجامعات الايطالية ، ولد عام ١٨٣٥ ، حصل على البكالوريوس في الطب من جامعة بافيا عام ١٨٥٨ ، وعمل طبيب في الجيش الايطالي ، وقد تهيأت له فرصة دراسة جماجم المجرمين من نفذت فيهم عقوبة الاعدام ، بالاضافة الى ذلك تمكن من فحص (٣٨٣) جمجمة من المجرمين الاموات و (٥٩٠٧) من المجرمين الاحياء ، ومن خلال عمله هذا بحث اسباب الظاهرة الاجرامية في شخص المجرم فدرس سلوك بعض الجنود المنحرفين ومظاهرهم العضوية وتكوينهم الجسماني لغرض تحديد خصائصهم المشتركة مقارنة مع الجنود الاسوياء فتأكد من وجود علامات خاصة بالمجرمين سماها (علامات الارتداد) او (علامات الرجعة) ، حيث لاحظ لومبروزو ان ادمغة اللصوص تشبه الفقريات والحيوانات ذات العمود الفقري والاسماك والزواحف والطيور والثديات (الحيوانات الفقرية) ، كما لاحظ وجود صفات جسمانية ونفسية ومزاجية وعقلية تميز المجرمين من غيرهم ، وتشكل بمجموعها إندفاعات فطرية نحو الجريمة لدى شخص المجرم اكثر من سواه لدى الافراد الاسوياء .

تتلخص نظرية لومبروزو في ان المجرم يمتاز عن غيره بصفات عضوية ونفسية ، حيث اورد افكاره ونظريته هذه في كتابه الذي اصدره عام (١٨٧٦) والذي سماه ب **(الرجل المجرم)** .

وقد بنى لومبروزو نظريته على حالات عديدة قام بفحصها ، ابرزها :

الحالة الاولى : المجرم **((فيلا))** : مجرم خطير قام لومبروزو بتشريحه بعد وفاته فتبين وجود غور في آخر جمجمته مخالف للطبيعة العادية للجمجمة ومشابه لما يوجد في جماجم الحيوانات الدنيا كالقردة والخنازير ، فإستخلص من ذلك ان المجرم نوع شاذ من الناس لا يتشابه معهم في تكوينه الذي يجعل منه اقرب الى الإنسان البدائي الاول ، لذلك فهذا الكائن البدائي (المجرم) لا يستطيع التعايش مع هذا المجتمع كونه ليس بمجتمعه ، لذا تبدو لنا تصرفاته شاذة وغريبة .

الحالة الثانية : المجرم **((ميسديا))** : هو جندي مصاباً بالصرع وخدم عدة سنوات في الجيش ولم يعرف عنه سوء الخلق ، غير انه بسبب استهزاء احد رؤسائه به ثار (ميسديا) ثورة عنيفة وقام بمطاردة ثمانية افراد من زملائه ورؤسائه في الجيش وقتلهم جميعاً ، وبعد قتلهم سقط ميسديا فاقداً للوعي لمدة (١٢) ساعة متوالية وحينما استيقظ لم يتذكر شيئاً عما ارتكبه .

وبعد دراسة لومبروزو لحالة ميسديا تبين انه يجمع صفات الحيوانات المتوحشة والمفترسة وانه مصاب بالصرع الوراثي التي دفعته الى ارتكاب جريمته وتوصل ايضاً الى وجود علاقة بين الاجرام والصرع .

الحالة الثالثة : المجرم **((فرسيني))** : مجرم خطير اعترف بقتل (٢٠) امرأة بطريقة وحشية اضافة الى شربه لدماء ضحاياه قبل قيامه بدفنهن في المكان الذي اختاره لإخفاء جثتهن ، وقد تبين من فحص التكوين البدني لهذا المجرم اتصافه ببعض الخصائص الجثمانية والتشريحية للإنسان البدائي .

ثانياً : اقسام المجرمين عند لومبروزو

١. المجرم بالفطرة او بالميلاد :

وهم الفئة الاكثر بروزاً عند لومبروزو ، ولعل ابرز **الصفات الجسمانية** لهذا النوع من المجرمين :

- ❖ الوزن الدماغي عند المجرم أقل منه عند الإنسان العادي غير المجرم .
- ❖ فقدان التناسق في جمجمة الرأس .
- ❖ ضخامة او طول الفك .
- ❖ الاستطالة غير الاعتيادية للرأس .
- ❖ ضيق الجبهة .
- ❖ فرطحة الانف .
- ❖ الذقن الخفيف الحاد .
- ❖ إندفاع الاذنين للرأس .
- ❖ وجود الوشوم البذيئة على بدن المجرم .

اما اهم الصفات المزاجية العقلية فهي :

- ❖ عدم الشعور بالذنب .
- ❖ ضعف الوازع الاخلاقي .
- ❖ الغرور .
- ❖ المزاج الحاد .
- ❖ الميل نحو الكحول والمسكرات .
- ❖ عدم الاستقرار النفسي .
- ❖ الايمان بالخرافات .
- ❖ عدم السيطرة على النفس .

العلاج : الاستئصال (الاعدام) لعدم جدوى الاصلاح معهم .

٢. المجرم المجنون :

نوع من المجرمين المصابين بأمراض عقلية ونفسية سواء كانت وراثية ام غير وراثية .

العلاج : وضعهم في مصحة صحية او عقلية او اي مكان آخر مناسب .

٣. المجرم بالعاطفة :

هذه الفئة من المجرمين يقع اجرامها تحت تأثير العاطفة والانفعالات المختلفة والمزاجية والمتقلبة ، نظراً لشدة الحساسية التي يتمتع بها هذا النوع من المجرمين ، اغلب الجرائم السياسية تقع من قبل هذا النوع من المجرمين .

العلاج : تغيير محل اقامته مع التقليل من العوامل التي ادت الى الجريمة .

٤. المجرم بالعادة :

هذا النوع من المجرمين لا يكون الاجرام لديه وراثياً ، انما يكتسب الاجرام منذ حداثة سنة ، ولعل اوضح جرائم هذا النوع من المجرمين هي جرائم الاعتداء على الاموال ولا سيما جرائم السرقات .

العلاج : رعايتهم ومراقبتهم والعناية بهم واذا لم يتحقق شفائهم فعزلهم عن المجتمع .

٥. المجرم بالصدفة :

وهم يسمون بأشباه المجرمين ، وهم اقل المجرمين خطورة ، فهذا النوع من المجرمين لا يتوافر لديه النوازع الاجرامية الشريرة في الاصل ، الا ان اجرامه ناتج عن ضعف الوازع الاخلاقي ، بحيث يتأثر بالمؤثرات المحيطة به بشكل سريع بما يؤدي به الى ارتكاب الجرائم صدفة .

العلاج : اتخاذ عدة تدابير اصلاحية إبعاده عن محيطه الى مجمعات زراعية او صناعية لمدة زمنية غير محددة وتختلف هذه التدابير وتلك المدد بحسب ما اذا كان المجرم بالصدفة حدثاً ام بالغاً .

ثالثاً : تقييم نظرية لومبروزو

لا شك في ان نظرية لومبروزو تعد إنعطافة واضحة في الفكر الجنائي باتجاه تحويل الدراسات القانونية والعلمية والفلسفية بالاتجاه الشخصي (اي التركيز على الجاني) بعد ان كان البحث منصباً على الاتجاه الموضوعي (الجريمة) وكذلك اعتماد المنهج التجريبي ، فضلاً عن استخدامه لاسلوب المقارنة الاحصائية بين المجرمين وغير المجرمين ، لهذا لاقت آراء لومبروزو في بداية ظهورها نجاحاً كبيراً واعتنقها الكثير من تلامذته وبروزاً للدفاع عنها واثبات صحتها .

نقد النظرية :

١. إفتقار نظريته الى الاساليب العلمية التي تؤكد وجود ما سماه ب (علامات الرجعة او الارتداد) في الانسان الاول وأثر تلك العلامات في دفع الانسان نحو الاجرام ، فضلاً عن إن معلوماتنا عن الانسان البدائي لا زالت محدودة وغير مؤكدة .

٢. إن العديد من الابحاث اللاحقة على لومبروزو اثبتت وجود مثل تلك العلامات (علامات الرجعة او الارتداد) في اشخاص عديدين من غير المجرمين .

٣. ان دراسات لومبروزو قد اجريت على الرجال من دون النساء وهو ما يجعل من دراسته قاصرة .

٤. اقر لومبروزو بوجود ما سماه ب (المجرم بالولادة) او (المجرم بالفطرة) وهو قول منتقد ، لان السلوك يتحدد بكونه اجرامياً او غير اجرامي وفقاً لمتطلبات الحياة الاجتماعية واستناداً الى نصوص التجريم في قانون العقوبات ، ولما كانت هذه المتطلبات تختلف من مجتمع لآخر وفي المجتمع الواحد من وقت لآخر ، فانه يصبح من العسير القول بان الشخص الذي يولد بصفات معينة يكون مجرماً .

٥. اغفل لومبروزو العديد من العوامل الاخرى التي تؤثر في السلوك الاجرامي من غير تلك العوامل العضوية والخلقية ، ومنها البيئة الاجتماعية .